كاتب من العالم

مينوتّي ليرّو

أجرؤ على القول إنّنا في عصر وسيط جديد

تقف هذه الزاوية مع كاتب من العالم في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع القارئ العربي. «اخترتُ الشعر من أجل البحث عن جوهر حقيقتي وحقيقة الكون. كنت أظنّ أنّ هذا سيمنحني الحكمة والسعادة، ولكنّني أدركت اليوم أنّ العالم، بأسلحته، أقوى من هذا القلم المجهّد»، يقول الشاعر والكاتب المسرحي والناقد الإيطالي لـ«العربي الجديد»

سالينرو (إيطاليا) ـ **العربي الجديد**

■ كيف تقدّم المشهد الأدبي والثقافي في بلدك لقارئ لا يعرفه؟

أعتقد أنّ المشهد الأدبي الإيطالي شديد التعقيد. إنّه ينساق وراء الفساد العام الذي يسود بلدنا. فالنقّاد والشعراء الكبار يُنحّون جانبًا، بغية ألّا تتزوّى المواهب الضئيلة، المتسيّدة للمشهد الثقافي، في الظل. مع ذلك، أعتقد أنّ الشعر الإيطالي ما زال حيًا. ربّما يعاني، ولكنّه حيّ. فالموروث الكبير لشعرائنا الكلاسيكيّين ما زال شديد التأثير في الزمن الحاضر، وما زالت شاعرية شبه جزيرتنا تحضنا على البحث عن الجمال والحقيقة والتجديد، مع أنّ ذلك عادة ما يُكبت من الذين يُفترض بهم أن يشجّعوه. أمّا في ما يخصّني أنا شخصيًا، فقد حظيت بالتتلمذ على يد أساتذة كبار، من أمثال: جورجو باربيري سكاروتّي، والبيساندرو سيريبيري، وريمو بودي، وماريا تيريزا كيالانت، وكارولين وليلمايز ليلي، وجوسيبّه جنتيله، وفرانكو لوي، وجامبييرو نيري، وروبيرتو كاريفي، وأنريكو تيستا وآخرين. لقد علّمني هؤلاء أن تكون لي أعين تبصر، لا أن تقيه في نظرٍ لا طائل منه.

■ كيف تُقدّم عملك لقارئ جديد، وبأي كتاب لك تنصحه أن يبدأ؟

لقد وُلدتُ في التراب، وفي جنون رماد موقدي اختشقتُ الشعر، وكأنّ «أوروماتي الحائرة» تبدو لي أنّها ترمز إلى حقيقة كوني شابًا في مقتبل العمر، لا يقوى على التوهّج كما يرغب. ثبّتُ هذه الفكرة على الورقة، فأعطى هذه النصّ العنوان لمجموعتي الشعرية الأولى («أوروما حائرة» (2003). لذا فإنّي أنصح القارئ بأن يبدأ من هذه المجموعة، لأنّها تشتمل على مقدّمة وافية أبيّن فيها نظرتي للشعر، وسبب كونه جوهريًا بالنسبة لي، من أجل تشكيل هويّتي، منذ ذلك الحين لم أكفّ عن كتابة الشعر، بل حاولت أن أخوض كلّ الأجناس الأدبيّة، محاولًا تجديد ما مرّ عليه الزمن. والأعمال المسرحية «دونّة جوانا» (النسخة المؤنّثة لدون جوان)، و«دكتور فاوست» خير دليل على ذلك. ولكنّني سعيت إلى محاولة التجديد عن طريق النقد أيضًا، وذلك بأن عارضتُ رأي فيليب ليجون في ما يخصّ جنس السيرة الذاتيّة، واقترحتُ، ولأوّل مرّة، تفوّق السيرة الذاتيّة الشعريّة على السيرة الذاتيّة النثريّة.

■ ما السؤال الذي يشغلك هذه الأيام؟

إنّ الناس يعانون، ولا قدرة لهم على الاستمتاع بمباهج الحياة. حين أنظر إلى البحر من شاطئ أتشارولي يبدو لي كلّ شيء بسيطًا ورائعًا، ثمّ أتذكّر أنّ الإنسانية تؤوّل إلى الانهيار، لأنّها هُزمتْ أمام المشاعر السلبية، أمام تعاظم الآلهة، والطموحات التي تفوق الموهبة الفردية. أحيانًا يخطر في ذهني أنّ العالم قد يكون أكثر توازنًا بدون الإنسان، وفي سلام مع نفسه، على الرغم من قوانين الطبيعة القاسية. إذا ما أغمضتُ عينيّ وتمثّلتني أبلًا فاشعر بالسلام في أعماقي. وتتطفئ الأفكار للحظات، ولا أرى سوى ما أحببت بشدّة. إنّ رغبة بالهرب تعتريني دائمًا، مع ذلك فليس ثمّة مكانٌ بمنحني السّلام الذي أنشد. عليّ الاعتراف بأنّ كلّ هذا أصبح أشدّ قتامة في السنين الأخيرة، بفعل حادثة جعلتني أصارع كثيرًا كي أعثر على نفسي. ولكنّ من يولد في التراب، كما أسلفت، فإنّه يحبّ الحياة ويكافح دائمًا وتحت أيّ ظرف، من أجل المضيّ قدمًا.

■ ما أكثر ما تحبّه في الثقافة التي تنتمي إليها وما هو أكثر ما تتمنى تغييره فيها؟

تتوالى الفصول، بعذوبة، خارج نافذتي، وتنظّم إيقاع التقاليد الثقافيّة في المكان. مكتبة العائلة بعذوبتها تنبئني من هم كبار رجالات ثقافتنا الفنّية والأدبيّة والفلسفيّة، ودائمًا ما أجد لديهم أجوبة عن كلّ أسئلتي. إنّ المعايير الأدبيّة الغربيّة، التي انتمي إليها، ساحرة، أجل، ولكنّها تستند إلى شراسة تاريخنا: تخطر في ذهني الظلامية في العصر الوسيط، النساء البريئات اللاّتي اعتُبرن «ساحرات»، الحروب الصليبيّة وتجارة صكوك الغفران: إنّها رمزٌ للنفاق في ثقافتنا الدينيّة. ثمّ يخطر في ذهني دانتي وشكسبير، وربّما لا ينقصني شيء آخر لأشعر بالفخر. وعلينا التحلّي بالصبر مثلًا: ليست لدى رئيسة الوزراء أيّ شهادة جامعيّة، وقبل بضع سنين كان وزير التعليم بلا شهادة جامعيّة أيضًا. هذا المثال الأخير يجعلنا نفهم ما يحدث مع التطوّر الجزئي، أو الظاهري، من خطوات مرعبة تقود المجتمع إلى الوراء. أمّا الأقلّيّة المثقّفة فيُضيَّق عليها باستمرار، لأنّها تسبّب القلق (كما أسلفت القول بخصوص الشعر في إيطاليا). هذا مؤسف جدًا، ولكنّني لا أظنّ أنّنا لن نستطيع الخروج من هذه المحنة أبدًا، إلّا إذا وقعت معجزة. الغرب اليوم يعيش حالة مدنيّة زائفة، بل قد أجرؤ على القول إنّنا في عصر وسيط جديد. كيف وصلنا إلى هذه النقطة؟ قد يُصاب داروين بالحيرة إذا ما علم بالانحلال الذي بلغه «التنافس بين بني البشر»، والذي يقود إلى عمليّة «الانتقاء الطبيعي». إنّ «قلب الظلام» الذي أجاد كتابته كونراد يتيح لنا فهم الكثير من الأشياء. لذا فإنّ ما أريده لهذا العالم هو وقوع معجزة.

■ شخصية من الماضي تودّ لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

بودّي لقاء ويليم شكسبير، على الأخص من أجل معرفة ما يكمن وراء شخصيّته، إلى استعادة كلّ شيء.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

مشكلة العالم هي وضاعة الإنسان. إذا كانت الأغلبيّة سلبيّة وجاهلة، فإنّ هذا بسبب التخلّف دون أدنى شكّ. لماذا أصبح السياسيّون أكثر ضالة؟ في إيطاليا، مثلًا، ليست لدى رئيسة الوزراء أيّ شهادة جامعيّة، وقبل بضع سنين كان وزير التعليم بلا شهادة جامعيّة أيضًا. هذا المثال الأخير يجعلنا نفهم ما يحدث مع التطوّر الجزئي، أو الظاهري، من خطوات مرعبة تقود المجتمع إلى الوراء. أمّا الأقلّيّة المثقّفة فيُضيَّق عليها باستمرار، لأنّها تسبّب القلق (كما أسلفت القول بخصوص الشعر في إيطاليا). هذا مؤسف جدًا، ولكنّني لا أظنّ أنّنا لن نستطيع الخروج من هذه المحنة أبدًا، إلّا إذا وقعت معجزة. الغرب اليوم يعيش حالة مدنيّة زائفة، بل قد أجرؤ على القول إنّنا في عصر وسيط جديد. كيف وصلنا إلى هذه النقطة؟ قد يُصاب داروين بالحيرة إذا ما علم بالانحلال الذي بلغه «التنافس بين بني البشر»، والذي يقود إلى عمليّة «الانتقاء الطبيعي». إنّ «قلب الظلام» الذي أجاد كتابته كونراد يتيح لنا فهم الكثير من الأشياء. لذا فإنّ ما أريده لهذا العالم هو وقوع معجزة.

■ شخصية من الماضي تودّ لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

بودّي لقاء ويليم شكسبير، على الأخص من أجل معرفة ما يكمن وراء شخصيّته، إلى استعادة كلّ شيء.

مينوتّي ليرو في ميلانو، نيسان/ أبريل 2015 (Getty)

> لكلّ حرّية ثمن ندفعه في هذا العالم الذي لم يكن حرًا قطّ

> يُضيَّق على الأقلّية المثقّفة باستمرار، لأنّها تسبّب القلق

■ ما هي قضيتك وهل يمكن أن تكون الكتابة قضية بذاتها؟

ما قمت به في نتاجي هو أن رويت الحياة الصعبة لرجُل وُلد في عائلة معسرة وفي بلدة فقيرة ومليئة بالناس المتعصّبين. ثمّ وسّعتُ أفاقي وسعيتُ إلى الحديث عن المختلفين عنّي في هذه الأرض، بقدر ما أمكنني، نظرًا لمحدوديّة المعرفة لدى كلّ منّا، مهما درس وسافر. في ما بعد، وفي لحظة معيّنة، أدركت أنّه لا يمكن فصل الفنون بعضها عن بعض، ذلك أنّ المنبع الأساسيّ هو ذاته لها جميعًا. وقد أوقعني هذا في الإحباط، إذ شعرتُ أنّ عليّ امتلاك جميع الفنون من أجل التعبير عن البحر المضطرم والعدَب الذي أشعر به في داخلي. لهذا السبب قرّرتُ تأسيس «الحركة التعاطفيّة» في عام 2020، لتتمكّن الفنون من الاجتماع لينبثق منها فنٌّ سام، قادر على التعبير عمّا «لا تستطيع لغة الإنسان الفاني قوله». كان التعاطف، الذي وُلد في غمرة العزلة أثناء الجائحة، هو الإجابة التي شعرت بوجوب منحها للفنّانين، للشعوب، وللطبيعة نفسها، بغية السعي إلى الرقيّ.

■ الأدب العالمي يكتبه الترجمون. إلى أي درجة توافق على هذه المقولة وإلى أي درجة كتبك المترجمون؟

الترجمة «شرّ» نافع لا بدّ منه، قد تؤدّي أحيانًا إلى الارتقاء بالنصّ الأصليّ. وباعتباري مختصًا في الحقل اللغوي فليس بوسعي سوى امتداح نتائجها. ويجدر بي القول إنّها قد تكون عذبة وساحرة، بالنسبة للمترجم نفسه. أمّا خطرها فيكمن في الترجمات السيّئة التي تسبّب أضرارًا كبيرة. وبنحو عام من يمارس الترجمة فإنّه، بدوره، يمارس التأليف ويضفي على النصّ حساسيّته الخاصة، وثقافته (التي يجب أن تشتمل أيضًا على ثقافة الكاتب المترجَم).

أمّا في ما يخصّني، فقد تُرجمتْ بعض نصوصي إلى لغات مختلفة، وقد مكّنني هذا من «التحاور» مع الثقافات الأخرى. بوسعي القول، إذًا، إنّه ليس ثمّة خسارة في الترجمة، إلّا في حالات نادرة جدًا.

■ كيف تصف علاقتك مع اللغة التي تكتب فيها؟

إنّ اللغة الإيطاليّة لغة راقية وموسيقيّة ومُعبرة، لذا أشعر أنّها مناسبة، بنحو خاصّ، لكتابة الشعر. انظر الأوبرا الموسيقيّة، على سبيل المثال، ومركزيّة اللّغة الإيطاليّة فيها، مع أنّها تستجيب لمتطلّبات المؤلّفين الإيطاليّين الذين كانوا كثر، لا لخيارات الجمهور اللغويّة المحدّدة.

ومن يكون فعليًا. فأنا أحلم، على عكس ما يُظنّ دائمًا وبإصرار، أن يكون رجُلًا واحدًا، ذا فطنة فائقة. وقد يكون من المثير جدًا الاستماع إليه، والنظر إليه بإكبار، وتأمّله وهو يكتب، أو في حياته اليوميّة، واكتشاف حسناته ومساوئه، وإدراك أسراره ومزاجه وحدود قدراته الإنسانيّة. يودّي الشعور بأن أكون من مريديه المتواضعين، وأنْ أذوب في عذوبة إلهامه وعظمته. يُقال إنّ شكسبير فارق الحياة بعد سكرة كبيرة رفقة أفضل أصدقائه. حلمي أن أقضي يومي الأخير وسط بهجة حميميّة في سكرة رفقته، ما بين وجبة طعام وأخرى على المائدة.

■ ما هو، في اعتقادك، أكبر خطر على حرية الكاتب والكتابة في العالم اليوم؟

إنّ التحدّي الأكبر هو إيجاد المحفّزات في عالم يكافئ المتقاعسين، وما يُسمّون بالمؤثّرين وراقصات التعرّي، وكلّ الماكرين بنحو عام. ما جدوى البحث عن النقاء إذا كان النقاء لا يعني أحدًا؟ لذا فعلينا المقاومة، وإذا ما ارتقى نتاجنا الأدبيّ بشخص واحد، وأثارة متعته، أو إذا ما أدّى إلى رقيّنا نحن أنفسنا، فهذا يعني أنّه يستحقّ العناء. وعزائي، على المستوى الشخصي، هو أنّني نزلتُ إلى أعماقي الذاتيّة، وأعماق العالم، عن طريق الحفر بالكتابة. وفي هذا، كما أسلفت، القليل من العزاء في الحقيقة، لأنّ عمليّة الفهم، أحيانًا، تكون شديدة الإيلام. ولكن، لا بأس بذلك، فلكلّ حرّية ثمن ندفعه، في هذا العالم الذي، في الحقيقة، لم يكن حرًا قطّ.

■ لا شكّ أنّ هذا الأمر جعل منها، بالنّتيجة، لغة يُنظر إليها على أنّها قادرة على صياغة الشّعر الأسمى. على الرّغم من هذا على القول إنّه ليس ثمّة لغة أجمل من أخرى، لكنّ من يستخدمها يجعلها تسمو، عن طريق الفنّ.

■ كاتب منسي من لغتك تودّ أن يقرأه العالم؟

يُنسى أغلب الشعراء في وقت مبكّر، لذا قد تكون القائمة لامتناهية: البيرتو بيڤيلاكوا، وإدواردو سانگوينيتي، فقط من أجل ذكر شاعرَيْن رحلا منذ وقتٍ ليس ببعيد، ونكاد لا نرى كتبهما في المكتبات. بوسعي ذكر آخرين قد يبدون مجهولين تمامًا بالنسبة للقرّاء الإيطاليّين متوسّطي الثقافة. والحقيقة هي أنّنا نوهم أنفسنا بأنّ الشعر، أو الأفلام أو الفنون البصريّة، تجعلنا خالدين، ولكنّنا تراب أصلًا، وستتعفّن أبياتنا على رفّ ما، حتّى لا يعود من الممكن قراءة حروفها. الشعر يبحث عن الخلود، ولكنّ الخلود، الذي لا ينتمي إلى العالم أو الكون، كيف يمكن أن يكون لنا؟

■ لو بقي إنتاجك بعد 1000 سنة، كيف تحب أن تكون صورتك عند قرّائك؟

أنْ يُنظر إليّ كشخص طيّب، وُلد سيّئ الحظّ وقرّر أنْ يهب نفسه كلّها للشعر، مع ما لديه من إمكانات الذكاء التي قد تجعل منه ثريًا، وربّما مشهورًا في هذا الصّنف من المجتمعات. أنْ أُذكر كرجل اختار الطريق الأصعب كي يرتقي بنفسه وبالآخرين، ولم يهادن أبدًا، ولمْ يقبل بالفساد. كرجل كلّفته هذه الخيارات ثمنًا باهظًا، في عالم ينظر إلى النقاء على أنّه أمر مثير للضحك، لذا يعمد إلى تدنيسه وثلبه وكبْته. ولكنّ أودّ أنْ أُذكر أيضًا كرجُل وصل إلى القمّة التي كان يحلم بالوصول إليها منذ كان صبيًا، عن طريق خياراته، وإنْ للحظات لا غير، وغمرته السعادة: كانتْ بهجة خالصة لا يمكن وصفها، وهي بالنسبة له أثمن من كلّ كنوز الأرض. لحظة عادلتْ حياة بأكملها.

■ كلمة صغيرة شخصية لقارئ عربي يقرأ أعمالك اليوم؟

لطالما شعرت أنّ عالمكم قريب من عالمي الداخلي. فالشوارع المعبّدة التي سرت عليها كانتْ صحارى بالنسبة لي. بركت مع أصدقائي العرب، وصلّيتُ بعد أنْ غسلت قدميّ وذراعيّ. أقول للقارئ العربيّ إنّه شرف كبير لي أنْ نعرف بعضنا بعضًا. ثمّة ارتعاش في شعري يشبه الارتعاش الذي المحه في عيونكم المليئة بالزهو، الحزينة دائمًا، المشحونة بالأمل. كونوا متعاطفين!

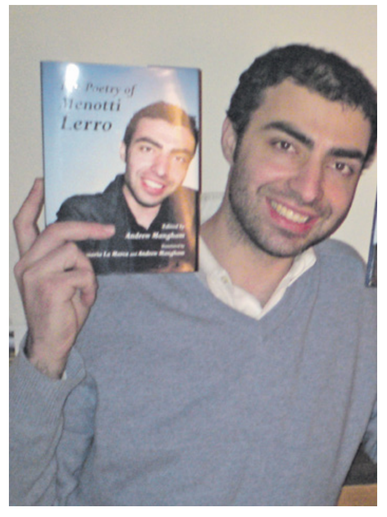

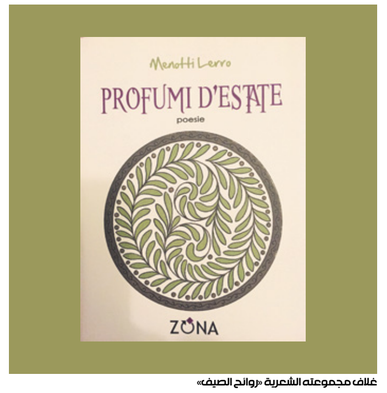

غلاف مجموعته الشعرية «رائحة الصيف»

بطاقة

شاعرٌ وكاتب مسرحي وناقدٌ أدبي وأستاذ جامعي إيطالي، وُلد في مدينة أومينيانو بمقاطعة سالرنو عام 1980. من إصداراته الشعرية: «نوتة معلّقة» (2023)، و«ذكريات نهاية اللافيّة وشخصيّاتها» (2024). وفي النثر: «الهرب من أوزّيك» (2012)، و«حوش النوير» (2019/ الغلاف). وفي المسرح: «دونة جوانا» (2015)، و«الغورينّا» (2015)، وفي النقد الأدبي: «سرد الذات شعريًا» (2012)، و«المدرسة التعاطفية» (2020).

حقيقة الظّل
مينوتّي ليرو

خطوة فخطوة يُسدلُ الليلُ ستارتهُ
الحالكة التي لا يقوى مسمارٌ على خَدشها
لا ولا بخطٍّ فوقها قلمٌ كلمةً أو صورةً دون
أنْ يَضِلّ
في حتميّة ضجيج الصمت ذاك.
تحتجب الأشياءُ كأنّ أفواهًا ابتلعتها
وتهبُّ رياحٌ خفيفةٌ تعصفُ بالمخاوف
الأخيرة
الرابضة على أقدامنا كما الأوراق.

على حيْن غِرّة تُقبلُ الظّلال: القِططُ تبْحثُ عنْ
مأوى
هربًا من البُروق الّتي تُنبئ بنيران المطر
ودويّ الرّعد الذي يُرسْمُ الدهشة على
الوجوه
الهائمة تحت أضْواءِ البُيوت. كلُّ شيءٍ
يسْعى إلى نسْيان النّهار.
وسرًا، نُشْتملُ بِمُخْمل العَتْمة ذاك،
كيْ لا نكون هُناك، حيْنما تؤول الحقيقةُ
الوحيدةُ مرّةً أخرى إلى الفناء
ولا نرى سوى مادّةٍ هشّة تتفتّتُ
ما بيْن أنصال الشمس.

نظلُّ هُهنا، الآن، لنوهِمَ أنْفسنا أنّ الحياةَ لا
تَقْضي
وسيُمْكِننا أنْ نعشّقَ بعضًا، مرّة أُخرى،
تحتَ النجوم الدافئة
والقمر المتّهب بالنظرات الحارقة لكلّ
العاشقين
النظرات التي تَقْتاتُ على الأدْخنةِ المُنبعثة
من الأجْساد.
فلْتتهْ في الدّنيا التي تكتشفها في الأعْين
وفي كلّ خفْقة رِمْش حيْنما تُهْوي الأجْفان
وهي تخْطُّ إيقاعَ الزّمنِ وتُنبئُ عن جوهرِه.

ونُجبرُ على إبقاء الأعيُنِ مُغْمضة
لِنتنظّرَ أخيرًا في أعْماقِنا، ونقْرأ الشريطَ
الباهت
للذاكرة التي طوينّاها
في الدُّرج الأخير من القلب.
هأنذا أرى الألوانَ الأولى، دعاسيقَ برْتقاليّة
على يدِ أبي الذي يرْكَعُ على عُشْبِ الجبَل
المقدّس
كيْما يُطْلعَني على السرّ.
وها هي سَنْدرةُ من القَشّ والأعواد، متراصّة
البُنيان
حيثُ يصْدُورِي الطيران أو الاخْتباء، دون
مخاوف النهار.
النباتاتُ هنا خَضراءُ فعلًا، والرجالُ لهم أيدٍ
تمسحُ على وُجوه الفُقراءِ في عالمٍ
يخلو من الفُقراء.
أو ابْتَها الأيْدي، ما نفْعُ الأيْدي في حقْلٍ من
الأغْراض
التي لمْ تعُد لنا، سوى جَرحها حدَّ الموتِ
برغباتنا في التملّك، بُغْية فكرةٍ مجْنونةٍ
توهِمُ العقْل
بالتقدُّم، إلّا أنّه لا هدفَ لها غيْر ملْء مَعِدِ
الدود!
ما نفْعُ الأعيُنِ إذا كانَ كلُّ ما قدْ يُمكنُنا رُؤيته
يأتي فقط في اللّحظات المظْلمة، حينما نظُنُّ،
وبكلّ حماقة، أنّنا عُمْيٌ.

3
لو أدْركنا أنّنا حبّاتُ رملٍ
لأحْكمنا إغلاقَ النّوافذِ والأبواب
كيْ لا تُقْطعُ الرّيحُ أوصالَنا.
ولَتذكّرنا على الشطآن
في الأيامِ المُشْمسة
لنرْتُقَ الثّقوبَ في الأجْساد.
لاخْتدْنا، ببهْجة، في كلّ إناء
كيْما نسْلبهُ شكْلَهُ ورَوائحَه.

5
ها هي الحَقيبةُ الأخيرة مفْتوحة
على ارْتياب راجف.
وفي عَتْمة تُعاسُه يقِفُ أبي إلى جانبي
وها أنا أسْمعهُ يبْكي
على ما فطِنَ إليْه في هواءِ أيْلول.
آهٍ، كمْ مرّة سارْمي بنِاظريّ إلى الوَراء
وأنا أراكَ وحيدًا،
قُربَ أوارِ الجَمْر
في انْتظاري.

الأحمرُ، الأسودُ
خيطُ الأسنانِ...
والفراغُ يُوشكُ على الامْتلاء
في الظّاهر.

تَصرُّ نافذةُ الشُّرفة
ويَنْزلُ بيْن قدميّ القطُّ العَجوز.

تُوشكُ نبضاتُ قلْبي على التوقُّف
ثمّ فُجاءةً:
يَنْبضُ، ينْبضُ، ينْبض
الرّيحُ على الباب:
إنّها روح مِنْ لا يُعود
لهُ صوتٌ مكْسور ...

ولكنّها اللّحظة، إنّها جاهزةٌ:
قصيدتي الأخيرة بهذا القلم.

إليْك
فقط
أتْرُكُ
الحبْر من أجل اللّهو،
والوَرقة من أجل النار.

7
إنّ كانتِ الحياةُ حَشدًا من الأنْهار الجافّة
التي تحْملُ إلى البَحْر صَدى المياه،
فإنّنا لسْنا سوى ظِلال،
أضْواءٍ مُنعكسةٍ لأجْسادٍ ميْتة
لا مَصبَّ لها ولا مرْفأ.

10
اللّانهاية في أعْماقِ
أعْيُننا.
ليْستْ في الخارج، ولا في الأشْياء
التي في العالم،
بلْ في ظِلالها.

اللّيْلُ، الموتُ، خَفِيُّ الأجْفان،
نُعيدُنا إلى الكَوْن،
خارجَ الزّمن.

11
إذا ما رفَعْتُ رأسي عنِ الوسادةِ في أعْماقِ
اللّيْل،
حيْنما تنْبسطُ على الأرْضيّةِ نِصالٌ صغيرةٌ
منَ الضّوْء
يثبُ أمامي فَرْعٌ غسِيرٌ على الفَهْم: إنّها المِرْآة:
الماءُ المُتجمِّد في الأطْر، المادّةُ الشيْطانيّةُ التي
تَصنَعُ الضّدَ
خدْعةُ الجَسد، الشبيهُ لوُحوش الهَواجِس
الأمعودة.

15
في المِراة فقطْ تفْطِنُ لتمرُّط شَعْرك،
وجَفافِ فمِكَ وتهشُّم عَيْنيْك.
على هذه الحالِ أبْقى، أتطلّعُ فيّ.
ولا أشْعرُ بالانْتماءِ إليّ،
إنّني تِمْثالٌ من المِلْح.

(ترجمة عن الإيطالية: كاصد محمد)

صديقي أحمد جمعة

عاطف الشاعر

في بداية حرب الإبادة على غزّة، اتّصلَ بي صديقي العزيز أحمد جمعة من الدنمارك حيث تسكن عائلته الفلسطينية. وقال إنّه يريدُ الذهاب إلى غزّة. قلتُ ممّا قلتُ له آنذاك إنّ هذا صعب، وربما يُجاور المستحيل، فلم أرَ أفقاً لذلك. وما هي أسابيع حتى سمعتُ منه أنّه في القاهرة، يبحث ويقلّب حتى وجد منظّمة خيرية يقودها شباب طيّبون وشجعان حقّاً. التحقَ بهم وأصبح معهم، يعمل في مخزن لجمع التبرّعات والأشياء المطلوبة لغزّة المكلومة، ويسهر الليل وهو يضع المستلزمات الإنسانية في صناديق حتى تُرسل إلى غزّة.

رأيتُهُ بعد أكثر من اثنتي عشرة سنة في القاهرة؛ فقد كنّا ندرس معاً في جامعة سواس بلندن، وتخرّج بعدها من قسم الفلسفة من جامعة بيربيك كوليج في لندن أيضاً. وكان كما عهدتهُ رجُلاً طيّباً، دمثاً، صاحب دعابة وعقل ومِحاج بالأفكار والخواطر. ورجُلاً قبل كلّ شيء ذا مبادئ، لا يُتْرثر، لكنّه يتكلّم ويتبادل في ما ينفع ويخلق جوّاً يُشعر الإنسان معه بالأنس والراحة. عمل أحمد في دكّان جامعة سواس بلندن، وفي مطعم أخيه في الدنمارك، وفي مكتبة في كوبنهاغن، وظلّت القراءة والكتابة الأقرب إليه، يتبعهما ويجد لنفسه حيّزاً هنا وهناك لممارسة هوايته في التفكير، وتعليم الناس. وأحمدُ صاحب روح وروحانية لا تخلو من صوفيّة الفنّان ورهافة الشاعر، وجسارة الفيلسوف. اكتبْ لاقول إنّ أحمد صديقي دخل غزّة أكثر من مرّة، وناور من هنا ومن هناك وعاد ودخلها بعد أن أُغلق معبر رفح، وغُلّقت الأبواب تماماً على غزّة. ظلّ أحمد وفيّاً لأهل غزّة وفلسطين. وجد نفسه في مساعدة الأطفال والنساء والمكلومين في غزّة. يصحو صباحاً مع زملائه الأشاوس من أصحاب الإغاثة، ولا سيما الشاب العراقي عبد السلام، بحسب ما أذكر اسمه، ويعود معهم ليُخطّط نشاطات المساعدات لليوم التالي في غزّة، وهكذا. يلفُّ ويدور ولا يكلّ عن توزيع المساعدات للناس. ليُخفّف عنهم الهموم والأوجاع. ويصوّر فيديوهات من غزّة ويضعها على منصّات التواصل، يتكلّم بإنكليزية واضحة عن الجحيم، وعن جهود الإنقاذ والمساعدات والإغاثة والأمل من أقاصي مساحات المعاناة والقهر. ويبتسم بوجهه العالي، ويُبدي رضاه عن أنّه قُدّر له أن يكونَ عوناً لأهل غزّة في أحلك أوقاتهم. أرى أحمد صديقي هناك، أراه بكامل براءته وجماله وصدقه وفلسفته وشجاعته، أرى نفسه تكتمل وتُقابل ذاتها الواسعة التي كانت تبحث عن معنى أصيل، تاركةً خلفها خواء الفضاء الأوروبي لمن هو عميق التفكير، كبير الروح مثل أحمد. وإن كنتُ أوجّه تحية لأحمد، فإنّها تحية لآلاف الأبطال الصادقين من أصحاب الإغاثة الذين يُوزّعون الماء والخضار والطعام والدواء، وما أمكن، على أهلنا في غزّة الصامدة المكلومة. بطولةُ هؤلاء هي التي تُحدث فرقاً بين الموت والحياة في أحيان كثيرة، وبطولتهم هي مثال الإنسانية الذي يُحتذى به، هي طريقُ السموّ والالتحام مع المظلومين، وتثبيت الروح في أخصب الأماكن، ووضع النظرية والتطبيق العلمي والعملي داخل مداه الأساسي. الإنسان وحياته، وموقعه من هذه الإنسانية البعيدة عن غزّة الآن.

تحية لصديقي أحمد، ولعبد السلام، وتحية محبّة خالصة لهؤلاء الذين يُصرّون على أن يكونوا في وسط الخطر والنكبات المستمرّة ليُخفّفوا عن الناس عذاباتهم وآلامهم، ويمدّونا بالأمل أن الإنسانيّة - الذين هم عنوانها الأسمى - لا تنتهي مهما تجبّرَ الوحوش الصهاينة وداعموهم من الأراذل.

(كاتب وأكاديمي فلسطيني مقيم في لندن)

فعاليات

حتى الثالث والعشرين من آب/ أغسطس الجاري، يتواصل في «غاليري جانين ريبز» ببيروت معرض للفنّانة التشكيلية اللبنانية **سارة أبو مراد** تحت عنوان **الرحيل أو البقاء**. عبر ثلاثين لوحة، تتناول أبو مراد، التي تُقيم في فرنسا منذ 2020، موضوعات الهجرة والحركة الجغرافية للأفراد، والتأثيرات الجماعية والفردية الناتجة عن الانتقال، إضافة إلى الانفصال وتفكّك الأسر.

تعرض منصّة «أفلامنا»، طيلة آب/ أغسطس الجاري، الفيلم القصير **الموت ومخاوف أخرى** (2024) للمُخرجة والكاتبة اللبنانية **ماري لويز إيليا**. على مدى أحدى عشرة دقيقة، تروي إيليا، الحاصلة على شهادة في السينما والإخراج عام 2013، علاقتها بالموت والفناء والمخاوف الأخرى، من خلال حوارات ذاتيّة ولقطات فيديو جمعتها ونصوص كتبتها في أوقات مختلفة.

عند الخامسة من مساء اليوم السبت، تنظّم «مؤسّسة عبد الحميد شومان» في فرعها بمدينة الزرقاء ورشة تحت عنوان **رحلة اليافعين إلى الشباب**. الورشة موجّهة إلى الأطفال بين 12 و16 عاماً، ويُقدّمها **رافت بدران** و**آيات شاويش**، اللذان يتناولان خلالها أربعة محاور؛ هي: أهمّية مرحلة الشباب، والمهارات الأساسية، وأهمّية التطوّع، والانتقال إلى مرحلة الشباب.

عند الرابعة والنصف من مساء السبت، السابع عشر من آب/ أغسطس الجاري، يستضيف «متحف الفن الإسلامي» في الدوحة ورشة بعنوان **شرح النماذج الفنّية الإسلامية**. الورشة، التي تُقدّمها **مريم الماجد**، توجّه للأطفال بين أعمار 8 أعوام سنوات و11 سنة، وتهدف إلى تعليم رسم بعض القطع الفنّية الموجودة في مجموعة المتحف، باستخدام الألوان أو أقلام الباستيل أو أقلام التحديد.